جامعة الانبار/ كلية التربية القائم
/قسم اللغة العربية /
الصف الثاني
مادة النصوص القديمة
المحاضرة الخامسة
م.م. همام محمد سعيد رجب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

تتمة موضوع الأدب الصغير

وذلكَ دَليلٌ على أنّ النّاسَ لمْ يبْتَدِعوا أصولَها ولمْ يَأتِهِمْ عِلمُها إلاّ مِن قِبَلِ العَليمِ الحَكيمِ[1].

فإذا خَرَجَ النّاسُ من أنْ يكونَ لهُمْ عَمَلٌ أصِيلٌ وأن يقولُوا قَوْلاً بدِيعاً فَلْيَعْلَمِ الوَاصِفونَ المُخْبِئونَ أنّ أحَدَهُمْ، وإنْ أحْسَنَ وأبْلَغَ، ليسَ زَائِداً على أنْ يكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوص[2] وَجَدَ ياقُوتاً وَزَبَرْجَداً وَمَرْجاناً، فَنَظَمَهُ قَلائِدَ وَسُمُوطاً[3] وأكالِيلَ، وَوَضَعَ كُلَّ فَصّ مَوْضِعَهُ، وَجَمَعَ إلى كلّ لَوْنٍ شِبْهَهُ وَمَا يَزيدُهُ بذلكَ حُسْناً، فسُمّيَ بذلكَ صَانِعاً[4] رَفِيقاً[5]، وَكَصَاغَةِ الذّهَبِ والفِضّةِ، صَنَعوا مِنها ما يُعْجِبُ النّاسَ منَ الحُلِيّ والآنيَةِ، وكالنّحْلِ وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أخْرَجَهَا اللّهُ طيّبةً، وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا اللّهُ ذُلُلاً[6]، فَصَارَ ذلكَ شِفاءً وَطَعاماً، وَشَراباً مَنْسوباً إلَيْها، مَذْكوراً بِهِ أمْرُها وَصَنعتُها.

فَمَنْ جَرَى على لسانه كلامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أوْ يُسْتَحْسَنُ مِنهُ، فَلا يُعْجَبَنّ إعْجابَ المُخترِعِ المُبْتَدِعِ، فإنّهُ إنما اجْتَناهُ كما وَصَفْنَا.

الاقتداء بالصالحين

وَمَنْ أخذَ كلاماً حَسَناً عن غَيرِه فَتَكَلّمَ به في موْضِعه وعلى وَجهِهِ، فلا تَرَيَنّ

---

(١) العليم من صفات الله عز وجل العَلِيم والعالِمُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو الخلّاقُ العَلِيمُ﴾ وهو المقصود.

(٢) فُصُوص: جمع فَصّ وفَصُّ الخاتم وفِصُّه بالفتح والكسر: ما يُركَّب في الخاتم من الحجارة الكريمة، والفتح فيه أعلى، والمولدون يسمّونه قلب الخاتم.

(٣) السُمُوط: جم سِمْط والسِّمطُ: خيط النظْمِ لأنه يُعَلَّقُ، وقيل: هي قلادة أطول من المِخْنَقةِ، ، وقيل: السلْكَ ما دام لم يخرز فيه لؤلؤ ولا مرجان.

(٤) صانعاً: الصانعُ الماهرُ الحاذقُ. ورجل صِنْعُ اليدين بكسر الصاد: الماهر.

(٥) الرفيق: جمع رُفَقَاءُ المُرافِق ويطلق على الواحد والجمع فنقول هم رفيقي كما تقول هو رفيقي والمقصود هنا اللطيف وحسن الصنيع إذا كان رفيقاً بالعمل.

(٦) ذُلُلاً: جمع الذُلُ بالكسر: الليل وهو ضد الصعوبة، وقيل: ذَلَّ ذُلُولاً في معنى رفيق ورؤوف

عليْهِ في ذلكَ ضُؤولَةً[١]. فإنّه مَن أُعينَ على حِفظِ كلامِ المُصِيبينَ، وهُدِيَ للاقْتداء بالصّالحينَ، وَوُفّقَ للأخذِ عنِ الحكماء، وَلا عَلَيْهِ أنْ يَزْدَادَ، فَقَدْ بَلَغَ الغـايَةَ. وَلَيْسَ بناقصِهِ في رَأيِهِ وَلا غامِطِهِ[٢] منْ حَقّهِ أن لا يكـونَ هُوَ اسْتَحْـدَثَ ذلكَ وَسَبَقَ إليْـه. فـإنّما إحْيـاءُ العَقْلِ الـذي يَتِمّ بِهِ وَيَسْتحكِمُ[٣] خِصَـالٌ[٤] سَبْعٌ: الإيثـارُ بالمحَبّـةِ، والمُبالَغَةُ في الـطّلَبِ، والتّثَبُّتُ في الاختْيارِ، وَالاعْتِيـادُ للخَيرِ، وَحُسْنُ الـرّعْي[٥]، وَالتّعَهُّدُ لِما اخْتِيرَ وَاعْتُقِدَ، وَوَضْعُ ذلك مَوْضِعَهُ قَوْلاً وَعَمَلاً.

أمّا المَحَبّةُ فإنّها تُبْلِغُ المَرْءَ مَبْلَغَ الفضْلِ في كلّ شيء من أمرِ الدّنْيا وَالآخِـرَةِ حينَ يُؤثِرُ بمحَبّتِهِ. فَلا يَكونُ شَيءٌ أمْرَأ[٦] وَلا أحْلى عنْدَهُ منْهُ.

وَأمّـا الطّلَبُ، فـإنّ النّاسَ لا يُغْنِيهِمْ حُبُّهُمْ مـا يُحِبّونَ وَهـوَاهُمْ ما يَهْـوَوْنَ عنْ طَلَبِـه وَابْتِغـائِـهِ[٧]. وَلا تُـدْرَكُ لَهُمْ بُغْيَتُهُم وَنفـاسَتُهـا[٨] في أنْفُسِهِمْ، دونَ الجِـدّ وَالعَمَلِ.

وَأمّا التّثَبّتُ والتّخَيّرُ، فإنّ الطلَبَ لا ينْفَعُ إلاّ مَعَهُ وَبـهِ. فَكَمْ من طالبِ رُشْـدٍ وَجَدَهُ وَالغَيَّ مَعاً، فاصْطَفى منهُمـا الذي منـهُ هَرَبَ، وَألْغَى الّـذِي إلَيْهِ سَعَى، فـإذا

---

(١) الضؤولة: والضئيل: الصغير الدقيق الحقير، وتَضَاءَل الـرجل: أخْفى شخصَـه قاعـداً وتَصاغَـر أي يَدِقُّ حقارة.

(٢) الغَمْطُ: الاستهانة والاستحقارُ، وفي الحديث إنّما ذلك مَنْ سَفِهَ الحقّ وغُمَط النّاس يعني أنْ يـرى الحقَّ سَفَهاً وجهلاً.

(٣) يستحكم من فعل حَكُمَ، واسْتَحْكَمَ الأمرُ ويَسْتَحْكِمُ: يتمكّن منه أي صار مُحْكماً مُتْقَناً.

(٤) خِصـالٌ جمـع الخَصْلَةُ والخَصْلَةُ: الخلّةُ فضيلةً كـانت أو رذيلة، وقـد غلبت على الفضيلة وهي المقصودة هنا.

(٥) الـرّعْي: من فعل رَعَى الأميـر رعيَّته: سـاسها وتَـدَبَّر شؤونهـا، وقصد هنـا حسن التدبيـر والتّصرف للأمور التي يسعى في طلبها تحقيقاً للخير.

(٦) امرأ: من فعل مَرَأَ ومَرُؤَ الطعام، ومَرَأَ: صار مريئاً، ومنه في حديث الاستسقاء: «اسقِنا غَيْثـاً مريئـاً». يقال مَرَأني الطعام: إذ لم يَثْقُل على المعِدة وانحدر عنها طيباً.

(٧) البَغِيّةُ: الطّلِبَةُ ويقال: بَغِيّتي عندك وبِغْيتي والبَغِيّةُ: الضالة المبْغِيّةَ أي الحاجة.

(٨) نَفُسَ الشيء بالضم فهو نفيسٌ: رَفُعَ وصار مرغوباً فيه، وهذا أنْفَسُ مالي أي أحَبُّه.

الأدب الكبير

عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ)

في الأصدقاء

ابذل لصديقك دمك ومالك

ابْذُلْ لِصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ، ولمَعْرِفَتِكَ[١] رِفْدَكَ[٢] ومحْضَرِكَ[٣]، ولِلْعامّةِ بِشْرَكَ وتَحَنُّنَكَ، ولِعَدُوِّكَ عَدْلَكَ وإنصَافَكَ، واضْنَنْ[٤] بِدينِكَ وعِرْضِكَ على كُلِّ أحَدٍ.

لا تنتحل رأي غيرك

إنْ سمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كلاماً أوْ رَأيْتَ مِنْهُ رَأياً يُعْجِبُكَ فَلا تَنْتَحِلْهُ تَزَيُّناً بِهِ عِنْدَ النَّاسِ. واكْتَفِ منَ التَّزَيِّنِ بأنْ تجْتَنِيَ الصَّوَابَ إذا سَمِعْتَهُ، وَتَنْسُبَهُ إلى صَاحِبِهِ.

واعْلَمْ أنّ انْتِحالَكَ[٥] ذلِكَ مَسْخَطَةٌ لِصَاحِبِكَ، وأنّ فِيهِ معَ ذلكَ عاراً وسُخْفاً.

فإنْ بَلَغَ بِكَ ذلكَ أنْ تُشِيرَ بِرَأيِ الرّجُلِ وتَتَكَلّمَ بِكلامِهِ وهوَ يَسْمَعُ جَمَعْتَ معَ

---

(١) لِمَعْرِفَتِك: من فعل عَرَفَ ومعرفتُك: أهل المعروف في الدنيا أي أحبّ الناس إليك كأصدقائك. ومنه الحديث: «أهلُ المعروفِ في الدّنيا هم أهْلُ المعروف في الآخرة».

(٢) رِفْدُك: من فعل رَفَدَ. والرِّفْدُ بالكسر: العطاء والصلة والرَّفْدُ بالفتح المصدر، ورَفَدَه: أعطاه، ورِفْدُك: عطاؤك ومن الحديثِ: «من اقتراب الساعة أنْ يكونَ الفَيءُ رِفْداً أي صلة وعطية».

(٣) مَحْضَرَكَ: من فعل حَضَر. والحضور نقيض الغياب والمغِيب. وكان ذلك بمحضرك منه أي بمشْهَدِك منه. والحَضْرَةُ: قُرْبُ الشيء.

(٤) واضْنَن: من فعل ضَنَنَ والضَّنُّ: الإمساكُ والبخل. وَضِنِّي بديني: أي أختصّ به لنفسي لمكانه منّي وموقعه عندي.

(٥) انتحالك: من فعل نَحَلَ ونَحَلْتُه القولَ أَنْحَلُه نحلاً: إذا أَضَفْتُ إليه قولاً قاله غيره وأدعيته عليه.

الظّلْمِ قِلّةَ الحَيَاء. وهذا مِن سوء الأدَبِ الفاشي في النّاس.

وَمِنْ تَمامِ حُسْنِ الخُلُقِ والأدَبِ في هذا البابِ أنْ تَسْخُوَ نفسُكَ لأخِيكَ بما انْتَحَلَ مِنْ كلامِكَ وَرَأيِكَ، وتنْسُبَ إليْهِ رَأيَهُ وكَلاَمَهُ، وتُزَيِّنَهُ مَعَ ذلكَ ما اسْتَطَعْتَ.

تمام إصابة الرأي والقول

لا يَكونَنّ منْ خُلُقِكَ أنْ تَبْتَدِىء حديثاً ثمّ تَقْطَعَهُ وَتَقولَ: «سَوْفَ» كأنّكَ رَوّأت[1] فِيهِ بَعْدَ ابْتِدَائِكَ إيّاه. وليَكُنْ تَرَوّيكَ فِيهِ قَبْلَ التّفَوّهِ بِهِ. فإنّ احْتِجان[2] الحديثِ بعْدَ افْتِتاحِهِ سُخْفٌ وَغَمّ.

اخْزُنْ عَقْلَكَ وكلامَكَ إلاّ عِنْدَ إصَابَةِ المَوْضِعِ. فإنّهُ لَيْسَ في كلّ حِينٍ يحْسُنُ كُلُّ صَوَابٍ. وإنما تمامُ إصابَةِ الرَّأيِ والقَوْلِ بإصابَةِ المَوْضِعِ. فإنْ أخْطَأكَ ذَلِكَ أدْخَلْتَ المِحْنَةَ[3] على عَقْلِكَ وَقَوْلِكَ حتى تأتيَ بهِ إنْ أتَيْتَ بِهِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ وهُوَ لا بهاء ولا طُلاوَةَ لَهُ.

وَلْيَعْرِفِ العُلماءُ حِينَ تُجالِسُهُمْ أنّكَ على أنْ تَسْمَعَ أحْرَصُ مِنْكَ على أنْ تَقولَ.

لا تخلط الجد بالهزل

إنْ آثَرْتَ أنْه تُفاخِرَ أحَداً مِمّنْ تَسْتَأنِسُ إلَيْهِ في لَهْوِ الحَدِيثِ فاجْعَلْ غايَةَ ذلكَ الجِدَّ، ولا تَعْتَدْ[4] أنْ تَتَكَلّمَ فِيهِ بما كان هَزْلاً، فإذا بَلَغَهُ أوْ قَارَبَهُ فَدَعْهُ.

---

(١) رَوّأتَ: من فعل رأي والرُّؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب وقيل: على رِيَّتِكَ أي رُؤْيَتِكَ وفيه ضَعَةٌ وحقيقتها أنه أراد رُؤْيَتك. والمقصود أنه نظر في الأمر وتَدَبَّره وتَعَقَّله دون أنْ يحررَ جواباً سريعاً.

(٢) احْتِجان من فعل حَجَنَ. والاحْتِجانُ: جَمْعُ الشيء وضَمُّه إليك واحْتَجَن الشيء: احْتَوَى عليه. وقيل: واحْتَجَنَّاه دون غيرنا: حَجَرنا، واحْتَجَنْتُ الشيء: إذا جَذَبْتَه بالمِحْجَنِ إلى نَفْسِك.

(٣) المِحْنَةُ: من فعل مَحَنَ. والمِحْنَةُ: واحدة المِحَنِ التي يمتحن بها الإنسان من بلية نستجير بكرم الله منها. والمُمْتَحَنُ: المُوَطَّأُ المُذَلَّلُ.

(٤) يَعْتَد: من فعل عَوَد. وعَوَّد الشيءَ: جعله يعتاده. والمُعاوِدُ: المُواظِبُ. ويقال للرجل المواظب على أمْرٍ: معاوِدٌ وفي كلام بعضهم: الزموا تَقى الله واستعِيدُوها أي تَعَوَّدُها.

ولا تَخْلِطَنّ بـالجِدّ هَـزْلاً، ولا بالهَـزْلِ جِدّاً. فـإنّكَ إنْ خَلَطْتَ بـالجِدّ هَـزْلاً هَجّنْتَهُ[1]، وَإنْ خَلَطْتَ بالهَزْلِ جِدّاً كَدَّرْتَهُ.

غَيرَ أنّي قَدْ عَلِمْتُ موْطِناً وَاحِداً إنْ قَدَرْتَ أنْ تَسْتَقْبِلَ فيه الجِدَّ بالهزْلِ أصَبْتَ الرّأيَ وَظَهَرْتَ[2] على الأقرَانِ: وذلكَ أنْ يَتَـوَرَّدَكَ[3] مُتَوَرِّدٌ بـالسَّفَهِ والغَضَبِ وسُـوءِ اللَّفْظِ، فتُجِيبَه إجابَةَ الهازِلِ المُداعِبِ، برُحْبٍ مِنَ الـذّرْعِ[4]، وطَلاقَـةٍ مِنَ الوَجْـهِ وَثَبَاتٍ مِنَ المَنْطِقِ.

لا تتطاول على الأصحاب

إنْ رَأيْتَ صاحِبَكَ مَعَ عَدُوّكَ فلا يُغْضِبَنّكَ ذلكَ، فإنّما هُوَ أحَدُ رَجُلَينِ:

إنْ كانَ رَجُلاً من إخوَانِ الثّقَةِ فأنْفَعُ مَـوَاطِنِهِ لـكَ أقْرَبُهـا مِنْ عَدُوّكَ لِشَـرٍّ يَكُفّهُ عَنْكَ، أوْ لِعَوْرَةٍ[5] يَسْتُرُها مِنْكَ، أوْ غائبَةٍ يَطّلِعُ عَلَيْها لكَ، فأمّا صَديقُكَ فمـا أغْناكَ أن يحضَرَهُ ذو ثِقَتِكَ.

وإنْ كان رَجُلاً من غَيرِ خاصّةِ إخْوَانِكَ فبِأيّ حقٍّ تَقْطَعُهُ عنِ النّاسِ وتُكَلِّفُهُ ألاّ يُصاحِبَ ولا يُجالِسَ إلاّ مَنْ تَهوَى؟

---

(١) هَجَّنْتَه: من فعل هَجَنَ. والهُجْنَة من الكلام: ما يَلزم منه العيب. وتَهْجينُ الأمر: تقبيحُه.

(٢) ظَهَرْتَ: من فعل ظَهَرَ. وظَهَرَ به وعليه يَـظْهَرُ: قـوي. وبَعير ظَهِيـرٌ، بَيِّن الظاهـرَة إذا كان شـديداً قوياً. ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أو الطّفْلِ الّذِينَ لم يظْهَروا على عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾.

(٣) يَتَوَرَّدُ: من فعل ورد. والوِرْدُ: الذي يُـورَدُ. والوِرْدُ: اسم من وِرْدِ يـوم الوِرْدِ. وَوَرَدَ عَليـه: أشرَفَ دخله أو لم يدخله ورجل واردٌ من قوم وُرّاد وكل من أتى مكاناً منهلاً أو غيره فقد وَرَدَهُ ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ منكم إلاّ وَارِدُهَا﴾ أي يردونها مع الكفار ولا يَدْخُلها المسلمون.

(٤) يـرحب من الذّرْع: من فعـل ذرع. رحب الذّرْع أي واسعهـا. وواسعُ الـذّرْع والذّراع أي الخُلُق. والذّرع: الطاقةُ. وأصل الذّرْع إنما هو بَسْط اليد. وقيل: قَلّدوا أمْرَكم رَحْب الذّراع أي واسِعَ القوة والقدرة والبطش.

(٥) العَوْرَةُ: من فعل عَوَرَ. والعَوْراء: الكلمـة القبيحة أو الفعلة. والعَـوْراء الكلمة التي تَهْـوِي في غير عقل ولا رُشْد. والعَوَرُ: شَيْنٌ وقُبْحٌ. والعـرب تقول للرَديء من كـلّ شيء ومن كل تصـرف يستحيا منه: أعور.